

القسم الثالث

اسرائيل

الصهيونية خادمة الاستعمار

الحركة الصهيونية

ان الحركة الصهيونية تستند الى مذهب مغرق في الرجعية ، وهي لا تختلف في محتواها عن النازية الا بافتقارها الى ما كان بيد هتلر من وسائل مادية هائلة . فهي عرقية وتؤمن بالعنف وبكل وسيلة توصل الى الغاية ، وهي ، على حد تعبير بن غوريون ، « فلسفة يهودية في جوهرها نضال ضد الاندماج » . أي أن اليهودي ، بنظر الصهيونية هو يهودي قبل أن يكون انسانا ، فلا يحق له الاختلاط بغيره من الاجناس كي لا يضيع جنسه ، تماما كما يقول العرقيون النازيون بمنع اختلاط الدم الجرمانى بالدم الاجنبي . ان الانسانية بنظر هؤلاء ، أحط من الجنس وهي لا تعوض الفرد جنسه ، لذلك وجب على هذا الفرد أن يقاوم الاندماج . وكما كان النازيون يزورون التاريخ بشكل يلائم أهدافهم ، فان الصهاينة يجدون في تصوراتهم « التاريخية » ما يبرر لهم قتل وتشريد العرب عن ديارهم . وكان النازيون يحتجون بالظلم النازل بقومهم ليرروا

العدوان على الأقواء الأخرى ، والصهيانية يحتجون بالظلم النازل بقومهم منذ أن « خرجوا من فلسطين » ليبرروا عدوانهم على العرب • كأنما لم يظلم انسان أبدا الا اليهود ، وكأنما لم يقتل المستعمرون ملايين بني الانسان في البلاد التي تكبت باستعمارهم •

ان الصهيونية ، ككل حركة رجعية ، لا تجد الحياة الا في خدمة الظلم والا في الخنوع لمخططات الظلام • لذلك نجدها منذ الساعات الاولى لمولدها على أبواب الاستعماريين الاحتكاريين ، تستجدي • فلوسهم » وتعرض للايجار ظهرها • وليس من قبيل الصدف أن تبلورت هذه الحركة في أواخر القرن التاسع عشر ، عقب المؤتمر الصهيوني العالمي في « بال » عام ١٨٩٧ ، في وقت توطن النظام الاحتكاري الاستعماري ، وفي وقت تطاحن الدول الاحتكارية الاستعمارية على اقتسام ثروات العالم المتخلف ، وبشكل خاص تطاحن المستعمرين على تركة « الرجل المريض » ، أو الدولة العثمانية • في هذا الجو من التصارع الوحشي بين المستعمرين لاقتسام ثروات العالم يدب النشاط ويرتفع حتى الغليان ، في سوق الخدم • وكان الصهيانية يعرضون خدماتهم في هذه السوق على كل من هو بحاجة اليها من المستعمرين •

التسابق الاستعماري في البحر المتوسط

كان التسابق ، كما هو معلوم ، على أشده بين الدول الاستعمارية للوصول الى وضع اليد على الممرات المائية في البحر الابيض المتوسط ، وإلى احتلال الشواطئ العربية لهذا البحر ، الشواطئ التي كانت تشكل أبوابا لآسيا وافريقيا ، أبواب الثروات الاسطورية • وكان هذا

السابق في كثير من الاحيان يأخذ شكلا حادا فتقع الحروب بين المستعمرين بنتيجته ، وفي أحيان أخرى يأخذ شكل التسويات فيقسم المستعمرون الغنائم ، وفي كل الاوقات لم تكن الدسائس والاحاييل تقطع من بعض المستعمرين ضد البعض الآخر .

وكان الخلاف دوما على أشده بين الدولتين الاستعماريتين ، فرانسا وانجلترا ، حول مصير بلاد البحر المتوسط العربية . ففي عام ١٧٩٨ نزل بونابرت أرض مصر واحتلها ، الا أن الجيوش الفرنسية طردت من ذلك القطر العربي من قبل بريطانيا والدولة العثمانية . ثم حالفت فرانساً محمد علي ضد الباب العالي وضد بريطانيا ، واحتلت الجزائر في عام ١٨٣٢ فأصبح لها موقع قدم راسخ في الشمال الافريقي . وفي عام ١٨٦٩ تم فتح قناة السويس بمساعدة الفرنسيين . ولم يكن البريطانيون ينظرون « ببرود » الى تقدم النفوذ الفرنسي وتقدم الاستعمار الفرنسي في مصر وغيرها من بلاد الشمال الافريقي ، بل كانوا يفعلون ما بوسعهم ، فيحاربون ويدسون الدسائس لايقاف مزاحمهم عند حدهم . وفي ١٨٧٥ تمكن البريطانيون من شراء حصة مصر في اسهم القناة ، فعلقت مجلة فرنسية بقولها :

« ٠٠٠ ان شراء انجلترا لاسهم القناة عمل سياسي بحت ، واذا لم يكون معناه استحواذ انجلترا على أرض مصر ، فهو الخطوة الاولى في سبيل تحقيق هذا الغرض » .

وقامت فرانساً باحتلال تونس في عام ١٨٨١ ، فكان جواب بريطانيا

ان احتلت مصر في عام ١٨٨٢ ، فوضعت بذلك يدها مادبا على الممر
البحري الجديد الهام الذي هو قناة السويس .
وفي هذه الاثناء لم تكن روسيا القيصرية ولا ألمانيا التي تم توحيدها
بعيدتين عن التسابق الى تركة - الرجل المريض - ، الدولة العثمانية .
الا أن روسيا القيصرية كانت تطمح الى البلقان والمضائق ، الدردنيل
والبوسفور ، بينما كانت ألمانيا تنتظر الفرصة لوضع اليد بالجملة على
الامبراطورية العثمانية كلها .

ظرف قيام الحركة الصهيونية

كان اقسام العالم قد تم تقريبا في أواخر القرن التاسع عشر ،
بين الدول الاحتكارية ، ولم يبق منه الا بعض الدول المتخلفة : منها
الصين في الشرق الأقصى ، والدولة العثمانية في الشرق الادنى . وفي
هذه الظروف بالذات برزت الصهيونية .

ان الاستعماريين وخدمهم يحاولون إعادة الحركة الصهيونية الى
ألوف السنين ، كما يحاولون التهويل من شأنها بتصوير النفوذ الصهيوني
« كقوة هائلة » تخضع لها جبابرة الدول الخ .. والغرض من هذا
واضح ومزدوج :

أولا : ابعاد الاستعمار عن جريمة قيام الصهيونية وتبرئته منها ،
وايجاد العذر له بمساعدتها ، « لانها قوة لا تقاوم » ..
ثانيا : تبرئة الصهاينة من خدمة الاستعمار والتسليم لهم ، ضمنا ،
بشرعية حركتهم المجرمة ، على اعتبار انها حركة تاريخية تمتد جذورها
الى ألوف السنين .

لكن هذه التصورات تتناقض تماما مع ما يدعيه الصهاينة من ان الظلم كان يقع بهم أينما حلوا في العالم ، حتى يوم ارتكاب جريمتهم ، سحريض ومساعدة الاستعمار بسلب العرب ديارهم عام ١٩٤٨ • واذا كانت لهم هذه القوة وكان لهم هذا النفوذ تخضع له الدول العظمى ، فلماذا سكنوا كل هذه القرون الطويلة ، من يوم خروجهم المزعوم من فلسطين حتى أواخر القرن التاسع عشر عندما كانت الدول الاستعمارية تأسر على أقسام منطقتنا ؟••

نقول خروجهم المزعوم ، لأن اليهود ، في الواقع ، لم يخرجوا من فلسطين كشعب تفرق في الارض ، كما خرج العرب منها مؤخرا ، بل خرج بعضهم في مناسبات مختلفة ، وما بقي منهم ، وهم الغالبية العظمى ، اندمج مع بقية الاقوام الموجودة في فلسطين •

ومما لا شك فيه ان للصهيونية قوة ونفوذ في العالم الاستعماري ، الا أن هذه القوة وهذا النفوذ هما من صنع الاستعمار في الأساس ، انهما قوة ونفوذ الخادم المطيع ، ومولدهما على التحديد كان في تلك الظروف المتعلقة بأزمات المسألة الشرقية في أواخر القرن الماضي • ان الصهيونية دوما في خدمة الاستعمار ، وليست أبدا سيدة للدول العظمى بالشكل الذي يصوره المستعمرون وخدمهم والبسطاء من بني قوما •

الصهيونية على أبواب الاستعمار

يقول المتطرفون من الصهاينة ان اسرائيل يجب أن تمتد من النيل الى الفرات • ان حدود احلام الاجير تتبع شهية سيده المستعمر ، الا أن التاريخ الذي تصنعه الشعوب ، وتصنعه الانسانية التي تتقدم بدون

توقف ، كقيل بإيصال المستعمرين وخدمهم الى نهايتهم الحتمية ، الى
قبرهم باحلامهم وجشعهم •

ان انشاء اسرائيل وتوسعها ، من الناحية العملية ، كان يتبعان دوما
نظور التفكير الاستعماري ، الامر الطبيعي في حركة قلنا انها نشأت
وترعرعت في خدمة الاستعمار • ففي أواخر القرن التاسع عشر ، عندما
كانت حركة اتمام استعمار العالم المتخلف قائمة على قدم وساق ، كانت
آمال القائمين على الحركة الصهيونية أن يضعوا هذه الحركة في خدمة
الاستعمار كيفما اتفق وفي أية بقعة من بقاع الارض :

« يكفي أن يعطونا أية قطعة من الارض
تناسب وحاجات شعبنا وتكون لنا السيادة
عليها » •

كان هذا القول لهرتزل ، الرائد الاول للحركة الصهيونية ، وهو
موجه طبعاً الى المستعمرين المنهمكين ، آنذاك ، بنهب أوطان الأفريقيين
والآسيويين • بل ان هذا الصهيوني كان يعارض في بادئ الامر فكرة
العودة المزعومة الى فلسطين ، وذلك لسبب بسيط ، وهو أن ضواهر
الامور كانت تدل ، في أوائل الثلث الاخير من القرن الماضي ، على أن
الدول الاستعمارية لن تتفق على اقتسام تركة - الرجل المريض - ،
أي تركة الدولة العثمانية • فكان برأي هرتزل انه من الأفضل
للصهاينة أن يجدوا حركتهم مجالاً آخر ، غير فلسطين ، لتقديم خدماتهم
فيه للمستعمرين ، سيما وان اعمال هؤلاء المستعمرين كانت مزدهرة
في التوسع ، في مناطق غير مناطق الامبراطورية العثمانية ، في أفريقيا

وأسيا • الآن تطور التزاحم على قناة السويس وطرق الشرق الأقصى
وأفريقيا الشرقية ، بين فرنسا وإنجلترا ، جذب الحركة الصهيونية
نحو منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط •

إن أهمية فلسطين لا تقل عن أهمية مصر في الاستراتيجية
الاستعمارية ، كبلد على طريق أفريقيا الشرقية والشرق الأقصى وثروات
الشرقين الأدنى والأوسط • وهي من الناحية العملية تقع على الضفة
الأخرى من قناة السويس ، الممر البالغ الأهمية في أواخر القرن الماضي
والى الآن • وعندما احتلت بريطانيا مصر فسلبت بذلك فرنسا « قناتها »
ونفوذها في هذا البلد ، كانت الدولة الأخيرة تفكر جدياً باسترداد
« ما خسرت » ، أو على الأقل بتعويضه في فلسطين وسورية • إن فرنسا
مثلاً لم تعترف بإطلاق يد بريطانيا في مصر إلا بعد احتلالها لمراكش عام
١٩١٢ • لذلك وجدنا البيوتات المالية الاستعمارية الفرنسية ، وعلى
رأسها بيت روتشلد ، وهي بيوتات مساهمة في القناة ، تحضر تبلور
الحركة الصهيونية في « بال » وتوجهها في اتجاه فلسطين • وقد حاولت
أيضاً ألمانيا ، التي كانت تطمح « بلع » الامبراطورية العثمانية ، استخدام
الصهيانية • فتوسط سفيرها لدى الباب العالي في الأستانة ، في مطلع هذا
القرن ، لاقناع السلطان عبد الحميد بهجرة اليهود الى فلسطين •

ثم لم تلبث بريطانيا أن أخذت « الطابطة » بيدها ، في لعبة التسابق
نحو طريق الهند ، ففكرت في باديء الأمر باستخدام الصهيانية في قبرص
أو سيناء ، لتحقيق بذلك هدفين :

١ - حرمان فرنسا وألمانيا من هذه الوسيلة التي هي الصهيونية في

لعبة التسابق الاستعماري في شرقي البحر الابيض المتوسط وعلى طريق الهند .

٢ - استخدام هذه الوسيلة في تعزيز مواقعها الاستعمارية في الشرق الاوسط وعلى طريق الهند .

الا أن التناقضات التي كانت تقوم في المنطقة ، بسبب الحركات الوطنية ، والتسابق الاستعماري ، وضرورة استرضاء سكان المنطقة ريشا تم انزلاقهم تماما في براثن الاستعمار البريطاني ، كل هذا اخر تنفيذ هذه الفكرة . لقد كان بوسع بريطانيا مثلا ان تضغط على خديوي مصر ليرضى باعطاء سيناء الى الصهاينة ، الا أن هذا يخلق لها مضاعفات في مصر وفي الآستانة . كما ان اعطاء قبرص الى الصهاينة يثير المشاكل بينها وبين اليونان وتركيا ، لان هذه الجزيرة يونانية تركية . و كل هذا يحقق لمناصفاتها من الدول الاستعمارية ، كروسيا القيصرية والمانيا وفرنسا ، سبقا لدى السلطان العثماني وفي المنطقة .

وسرعان ما يقدر الصهاينة صعوبات سيادهم المستعمرين فلا يلجئون كثيرا على تحقيق « أحلامهم في أرض الميعاد .. أو حولها » ، فنجدهم قبلون بسهولة في مؤتمرهم السادس ، وعلى رأسهم « نيهيم » هرتزل ، التوطن في اوغندا البريطانية . وكان هذا الامر يبعد الصهاينة نهائيا عن لعبة الفرنسيين وغيرهم من المستعمرين (خصوم بريطانيا) في الشرق الاوسط . بالإضافة الى انه يوطد مراكز الاستعمار البريطاني في أواسط أفريقيا ، قرب السودان والكونغو وروديسيا ، البلاد الاسطورية في غناها بالذهب والماس . ولم يتحقق هذا المشروع بسبب موت هرتزل

وانقسام الصهاينة على بعضهم بعد ذلك . فعندما عرض تقرير لجنة الهجرة الى اوغندا بعد موت هرتزل ، الذي كان من أخلص عملاء الاستعمار البريطاني في الحركة الصهيونية ، على المؤتمر الصهيوني تغلبت الاتجاهات الاستعمارية الاخرى ، اتجاهات فرنسا والمانيا وروسيا القيصرية ، على الاتجاه البريطاني . ورفض التقرير المذكور لصالح « العودة » المزعومة الى فلسطين ، أو على الاصح الى منطقة قناة السويس وطريق الهند والشرق (طريق خزائن بريطانيا) .

وعد بلفور

ثم تمضي الايام ، ويتبين لفرنسا وبريطانيا ان عدوهما المشترك هو الدولة الالمانية الفتية التي كانت تطمح الى السيطرة على العالم ، فقامت تسوية نهائية فيما بينهما قبيل الحرب العالمية الاولى ، فاعترفت كل واحدة منهما على ما بيد الاخرى من غنائم : تركت فرنسا لانجلترا مصر والقناة وكل ما يتعلق بطريق الهند ، وتركت انجلترا لفرنسا الشمال الافريقي .

واندلعت بعدئذ نيران الحرب العالمية الاولى وكانت قد ظهرت القيمة الاقتصادية البالغة لمنطقة الشرق الاوسط : البترول في العراق وفي ايران وفي الخليج العربي . وقد فكرت بريطانيا بان قاعدة « ابدية » قريبة من القناة ومن مناطق البترول يكون لها فائدة عظيمة ، وليس احسن من فلسطين ومن الصهيونية لهذه الغاية .

يقول مؤلف كتاب من « المتعم في فلسطين » ، وهو انجليزي :

« ان رجال الاستعمار البريطاني يرون ان

اليهود بناء على وضعهم السيء في مختلف البلاد
وما لديهم من رؤوس اموال كبيرة هم خير ما يمكن
لآلة الاستعمار البريطاني «

(وردت هذه العبارة في الكتاب الذي اصدره الجيش

السوري « اسرائيل »)

ويقول اللورد ميلتشت في كتاب « الجار » عام ١٩١٧ :

« اني اتطلع بلهفة الى ذلك اليوم الذي
تصبح فيه فلسطين وشرقي الاردن وحدة ضمن
الامبراطورية البريطانية وتشغل مركزا مهما في
جسم تلك الامبراطورية وتدافع عن هذه الوحدة
عدة ملايين من اليهود الذين تربطهم بنا رابطة
الوطن والاخلاص والمدنية «

(وردت هذه العبارة في كتاب - اسرائيل - للاستاذ

سعدى بسيسو .)

ومن المعلوم ان الاخلاص بلغة المستعمرين يعني دوما اخلاص
الخدام ، وان المدنية تعني الاستعمار . ثم ان ميلتشت هذا من أشد غلاة
المدافعين عن الصهيانة ، ومع ذلك فهو لا يجد فيهم أكثر من خدام
مرتزقين لتوطيد الامبراطورية على طريق الهند وفي منطقة البترول ،
التي هي بلادنا . الامر الذي يؤيد ما قلناه من أن هذه الحركة الرجعية
لا تهدف الا الى خدمة الاستعمار تحت شعار الدين والعرقية وغيرهما .

صدر وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧ ، ووافق
الحلفاء على هذا الموعد قبل انتهاء صيف عام ١٩١٨ . وكانت حسابات
المستعمرين ترمي ، في بادئ الامر ، الى وضع عنصر مستورد في

فلسطين ، الى وضع الصهاينة ليكون هؤلاء ركيزة - ابدية - لهم ضد السكان الاصليين العرب • فوعدهم بلفور يقتصر على - التبرع - بوطن قومي لليهود ، ولا ينص على تشكيل دولة لهم :

« ان حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل افضل جهودها لتسهيل ادراك هذه الغاية ، مع العلم بان لا يعمل شيء يجحف بما للمجتمعات غير اليهودية القائمة في فلسطين من حقوق مدنية ودينية » •

وهذا أمر مفهوم جيدا ، فالمستعمرون الذين يذبجون شعوبا برمتها لا يشغلون بالهم بانقاذ اليهود من الاضطهاد او بتشكيل دولة لهم ، والصهاينة الذين يتأجرون باليهود لخدمة الاحتكارات العالمية الاستعمارية لا يخرجون عن هذا الهدف من اجل اعتبارات انسانية او وطنية • ان الامر لا يتعدى خدمة المستعمرين وكانت هذه الخدمة في بادىء الامر ، في أيام الاستعمار القديم ، تقتصر فقط على وضع ركيزة طيبة لجيوش الاحتلال البريطاني ، ركيزة على شكل وطن قومي لليهود ، وطن قومي في قالب صهيوني عميل للاستعمار •

تحول الوطن القومي الى دولة مع تحول الاستعمار القديم الى حديث

ظهرت أمور جديدة لم تكن في حساب الاستعمار عندما أسس الوطن القومي في فلسطين فالشعوب بدأت تتحرك منذ مطلع هذا القرن • واشتدت يقظتها فيما بين الحربين العالميتين • وفي نهاية الحرب العالمية

الثانية ، بدأ للاستعمار جلياً ان بقاء جيوشه في اراضي الشعوب المضطهدة ضرب من المستحيل • فالجرب العالمية الاخيرة التي بدأت حرباً استعمارية ، بين وحوش كاسرة يمزق بعضها بعضاً ، لاقتسام الشعوب والمنهوبات ، ما لبثت ان تحولت الى حرب وطنية هائلة وعامة تشترك فيها جميع شعوب الارض ضد كل انواع الظلم والاستعمار • وانقلب ميزان القوى انقلاباً تاماً لصالح الشعوب والتحرر بحيث اصبح استقلال المستعمرات وانفصال الشعوب التابعة عن المستعمرين امراً لا يمكن ايقافه بالوسائل القديمة • عندئذ ظهر الاستعمار الحديث الذي يطمح الى الاستمرار في نهب الثروات الهائلة للشعوب بوضع وسائل جديدة :

اذا لم يكن بد من تحرر الشعوب فيمكن الاستقلال سوريا يقتصر على الشكل السياسي مع بقاء اقتصاد البلاد المتخلفة بيد المستعمرين •

وتحقيق هذا يحتاج الى سلسلة من التدابير المتنوعة : من اقامة العملاء على رأس حكومات البلاد المتخلفة ، والدرس الدائم في مجتمعات هذه البلاد ونسف مكتسباتها في كل مرة تصل فيه الى نقطة التحرر والانطلاق من قيود المستعمرين ، ووضعها في دوامات لا تنتهي من الدجل والفرع والمؤامرات ، واشغالها بمشاكل مصطنعة الخ • • وقد جرى كل هذا في منطقتنا في الوقت الذي برزت فيه فكرة اقامة دولة صهيونية في قلب عالمنا ، وقد استمر كل هذا بعد ان تمكن الاستعمار من اقامة الدولة الصهيونية ، الدولة التي تشغلنا ابداً بمكافحتها وتؤخر انطلاقنا وبناء بلادنا التي خلفها الاستعمار قاعاً صقفاً • وفي مثل هذا الجو المحموم ، المشحون بكل انواع الدجل والدرس والارهاب والتآمر

وبذل الاموال الطائلة والوقت الثمين للاستعداد لعدو لئيم غدار ، يسهل على الاستعمار نهب المليارات من ثرواتنا البترولية وغير البترولية •

ان تحول الوطن القومي اليهودي الى دولة صهيونية يرافق اذن تحول الاستعمار من شكله القديم ، شكل احتلال اوطان الاخرين بالجيوش الاستعمارية ، الى شكله الجديد ، شكل الاعتراف بالاستقلال السياسي ضمن قفص الاستعمار الاقتصادي • فالحركة الصهيونية على شكل وطن قومي ثلاثم وجود الاحتلال البريطاني لفلسطين : نزاع ابدى بين العرب واليهود يكون فيه بقاء البريطانيين المستعمرين امرا - لاغنى - عنه ، واضعاف العرب بافكارهم واشغالهم بمنازعات لا تنتهي أبدا • الا أن هذه الاقلية الصهيونية على شكل وطن قومي لا تصمد امام العرب في طور الاستعمار الحديث الذي يعترف بالاستقلال السياسي • فلا بد اذن من تحويله الى كيان سياسي مصطنع يقوم بين الكيانات العربية ليشن عليها العدوان ويشغلها ابدا عن الاستعمار • ولا بد من دعم هذا الكيان السياسي المزيف بحمل الحياة اليه من بعيد ، من بلاد المستعمرين ، لانه كيان غريب منقطع تماما عما حوله ، ثم ان اسرائيل تمهد للضعف وللدجل وللرجعية في البلاد العربية وكل هذه الادواء في البلاد العربية تسهل بقاء اسرائيل وتلهي العرب عن افعال المستعمرين ولصوصيتهم •

ورب قائل يقول ان فكرة انشاء دولة اسرائيل ظهرت قبل نهاية الحرب العالمية الثانية اي قبل ظهور الاستعمار الحديث بكل خطوطه وكل تفاصيله • ان هذا صحيح ، الا أن الاستعمار الحديث الذي نضج في اعقاب الحرب الاخيرة كان قد بدأ في الظهور منذ زمن طويل •

فشعوب امريكا اللاتينية مثلا كانت مستقلة سياسيا في الوقت الذي كانت فيه تابعة اقتصاديا للاحتكارات الاستعمارية الامريكية . كما كان هنالك عدد من البلدان المتخلفة المستقلة في الظاهر والمرتبطة في الواقع بالمستعمرين كالصين والحبشة وايران وغيرها . الا أن هذا الشكل من الاستعمار لم يكن يؤلف الا حلقات متممة في شبكة الاستعمار العالمي القديم ، الشبكة التي كانت تغطي كل العالم الرأسمالي . وفي اثناء اشتداد الحركات الوطنية العالمية ، اشتد ظهور النوع الجديد من الاستعمار ، اي ان اتجاه التحول كان من القديم الى الحديث . فلا عجب اذن ان تولدت فكرة الدولة الصهيونية مع تولد امكانية انطلاق الشعوب العربية نحو الاستقلال السياسي في فترة ما بين الحربين . وبالفعل فقد حاولت الصهيونية اغتصاب فلسطين منذ تلك السنين ، يساعدها في ذلك بعض كبار المستعمرين اصحاب النظر البعيد في قضايا الاستعمار ونهب الشعوب ، مثل تشرشل وتشمبرلن ولويد جورج وغيرهم . الا أن الغلبة كانت للاستعماريين الكلاسيكيين ، للاستعماريين من الطراز القديم . فكانت بريطانيا تمنع من جهة اية خطوة نحو الحكم الذاتي الذي يمكن العرب من وقف الهجرة ، وبالتالي يوفر لهم امكانيات أكبر في مقاومة الاستعمار ، ومن جهة اخرى كانت تلك الدولة المتدبة تمنع في اقامة دولة صهيونية . لقد مر على فلسطين عدد من اللجان البريطانية ، وجرت مناقشات عديدة في لجنة الانتداب في عصبة الامم ، بين المندوبين البريطانيين وبين اعضاء اللجنة ، وكانت تقارير كل تلك اللجان ، وكانت كل تلك المناقشات تدل جميعها على الامرين الآنفين الذكر ، اي ابقاء الامور ابديا بيد المستعمرين الانجليز .

ولقد كان من الواضح ان بريطانيا كانت تنتظر فرصة دولية مناسبة لضم فلسطين الى مقاطعات الدومينيون وتحويلها الى مستعمرة عادية :

« اني اتطلع بلهفة الى ذلك اليوم الذي
تصبح فيه فلسطين وشرقي الاردن وحدة ضمن
الامبراطورية البريطانية الخ .. »

« قول اللورد ميلتشت الذي سبق آفا » .

ولم تكن لتخطر في بال المستعمرين القدامى صور ما بعد الحرب العالمية الثانية ، صور انهيار الاستعمار القديم انهيارا تاما . وكانوا يظنون ان استعمارهم ابدى ، وان امبراطوريتهم التي لا تغيب عنها الشمس ستبقى ما بقيت الشمس .

لذلك كان اتجاههم في القضية الفلسطينية وفي قضايا مستعمراتهم الاخرى ، يتلاءم مع هذا الاعتقاد ، وبالتالي يتجه نحو تحويل فلسطين الى مستعمرة بمساعدة الصهيونية التي اقاموها في هذا البلد العربي . ولم تكد الحرب الاخيرة تضع أوزارها وتظهر الانهيارات الهائلة في بناء الاستعمار القديم لتقوم دول حديثة كانت حتى الامس القريب مستعمرة او تابعة ، وتستقل سورية ويستقل لبنان وتتهأ بقية الدول العربية للمسير في طريق التحرر ، حتى نرى المستعمرين الامريكان والانجليز يسارعون الى الاتفاق على اقامة دولة الصهاينة .. فنجد المستر بيفن ، وزير الخارجية البريطانية يعلن في تاريخ ١٤ تشرين الثاني عام ١٩٤٥ عن اتفاق انجلترا وامريكا على الاشتراك لحل قضية فلسطين ..

وهذه الشركة في تلك الايام ، بين بريطانيا التي حطمتها الحرب وانهارت امبراطوريتها او كادت ، وبين امريكا التي غدت اقوى دولة استعمارية حديثة ، تعني بكل وضوح تسليم الاستعمار القديم (المتمثل ببريطانيا) للاستعمار الحديث (الذي تزعمه امريكا وتدخل بريطانيا في جملته عضوا من الدرجة الثانية) في الشركة بفلسطين • وبذلك انتقل الصهاينة الى خدمة جملة استعمارية تضم جميع المستعمرين بزعامه امريكا ، بعد أن كانت في خدمة الاستعمار البريطاني وحده في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وبعد ان كانت تتذبذب من باب مستعمر الى باب مستعمر آخر قبل الحرب العالمية الاولى ••

ملاحظة :

ومما يجدر ذكره ، انه في الوقت الذي كانت فيه الجزيرة العربية تظهر كبلد منتج للبترول من الدرجة الاولى في العالم ، كانت البيانات الانتخابية الامريكية في عام ١٩٤٤ تتحدث عن دعم اقامة دولة اسرائيل ، القاعدة الاستعمارية • وحتى يومنا هذا ، مازالت جميع الاحزاب والهيئات السياسية الامريكية تشتمد في دعم اسرائيل واهداف اسرائيل مع اشتداد نهب بترول الشرق الاوسط وثرواته الاخرى ، ومع اشتداد حركة التحرر في المنطقة • ان امريكا مثلا سلحت اسرائيل بصواريخ هوك ، واقامت في اراضيها القواعد الصاروخية عندما يئست مؤخرا من اعادة سورية الى حكم عبد الناصر ، وعندما تلكأت سورية في تسليم بترولها الذي يعادل البترول العراقي في غزارته الى كونكورديا الالمانية الغربية

(وهذه الشركة هي طليعة الاستعمار الأمريكي البترولي ، كما
ثبت مؤخرا) •

اسرائيل تستورد حياتها من الاستعمار

انهالت مساعدات دول حلف الاطلسي بزعامه امريكا على اسرائيل
منذ اليوم الاول لقيامها : المساعدات المادية والسياسية والادبية ، ففي عام
١٩٥٠ كرس البيان الثلاثي الذي أصدرته امريكا وانجلترا وفرنسا ،
دول جملة الاستعمار الحديث ، حدود اسرائيل التي تتجاوز خط
التقسيم (كانت اسرائيل قد احتلت الجليل والمثلث العربي واللد
والرملة وجنوب الخليل وغيره ، وهي مناطق عربية بموجب التقسيم
الذي اقرته الامم المتحدة) وتعهد هذا البيان • البيان الثلاثي الشهير ،
بحماية هذه الحدود بالقوة من قبل الدول الموقعة عليه ، وذلك بحجة
حماية خطوط الهدنة • ولم تنفك امريكا عن التصريح ، على لسان
رؤساء جمهوريتها وسفرائها ورجالها الرسميين ، بأن اسرائيل « وجدت
لتبقى وعلى العرب ان يتعلموا التعايش معها » •

لقد تناولت اسرائيل حتى عام ١٩٥٦ مساعدات مادية من امريكا
تساوي ثلاثمائة مليون دولار ، بالإضافة الى ستمائة مليون دولار اتتها
من مؤسسات امريكية ، وخمسمائة مليون دولار ريع سندات القروض ،
و ٨٧٥ مليون دولار قيمة التعويضات الالمانية (انظر كتاب الاستاذ
بسيسو) ، ومئات ملايين الدولارات من دول استعمارية اخرى كفرنسا
وانجلترا وغيرها •

ويستتج من مقارنة الميزان التجاري الاسرائيلي ، بين التصدير

والاستيراد ، أن اسرائيل تشكو عجزا سنويا يتراوح بين ٢٠٠ - ٣٠٠ مليون دولار ، وذلك منذ عام ١٩٤٩ . وهذا الرقم على ضخامته لا يبين تماما اهمية العجز الا عند مقارنته بارقام التصدير والاستيراد . انه يساوي في أفضل السنين ضعف كل ما تصدره اسرائيل وثلاثة ارباع كل ما تستورده . اي انه كان على اسرائيل ان تضاعف تصديرها ثلاث مرات لتوازن بين الاستيراد والتصدير اما اذا نظرنا الى تغطية العملة الاسرائيلية بالذهب والعملات الاجنبية ، وهي تساوي ٩٠ مليون دولار ، فاننا نجد ان هذه التغطية لا تكفي لسد نصف العجز التجاري الخارجي لسنة واحدة من احسن السنين . اما العجز في الميزانية العادية لهذه الدولة فهو مزمع ويتراوح بين ١٠ بالمائة و ٣٠ بالمائة من مجموع الضرائب العامة . والناظر الى الخط البياني لهذا العجز يلاحظ تغيراته المضطربة والمفاجئة ، كتغيرات حرارة المصابين بالحميات ، الامر الذي يدل بوضوح على الاضطراب الشديد لمالية اسرائيل . ثم ان هنالك ميزانية الاعمار المنفصلة عن الميزانية العادية والتي تتراوح ارقامها بين ٦٥ بالمائة و ٩٠ بالمائة من الميزانية العادية ، فتبلغ مثلا الرقم ٢٨٥ مليون ليرة اسرائيلية في عام ٩٥٦ والرقم ٥٢٠ مليون ليرة عام ١٩٦٠ ، وهي تصرف في مشاريع غير مثمرة لخزينة الدولة كاسكان المهاجرين ومشاريع النفع العام وغيره . . .

ان دولة كهذه لا يمكنها أبدا ان تستمر في الحياة وحدها وبمعزل عن المعونات الاجنبية وان ما يفعله الاستعمار الامريكى واتباعه المستعمرون الآخرون ، اعضاء حلف الاطلسي ، عندما يقدمون المعونات بسخاء لها ،

• هو الاسكب الحياة في عروق هذا المخلوق العجيب الذي لا يوجد له
مثيل بين الدول • وعندما تذكر ان اسرائيل قد اقيمت في وطن عربي كبير
يدخر بالامكانيات الهائلة ، البشرية والاقتصادية ، بعد تشريد مليون
عربي عن ديارهم ، وانها قاعدة استعمارية لتهديد العرب على الدوام
وتأخيرهم وسلب ثرواتهم ، فهم لكل هذا لا يرضون ابدا ببقائها ، واذا
علمنا ان الصهيوني الواحد يقابله خمسون عربيا ، من العرب الذين
يستوطنون في دول تتقدم بشكل طبيعي رغم أنف الاستعمار ورغم مكائده
القدرة في الوقت الذي يسكن فيه هذا الصهيوني في دولة عجيبة كالتي
رأينا ، في دولة يجبى لحمها وشحمها من الخارج ، اتضح لنا تماما
الاسباب التي تدفع بالاستعمار الامريكاني الى البحث الدائب عن الوسائل
التي تمد في أجل هذه الدولة الاصطناعية •

• مما سبق ، يبدو لنا بجلاء تام كم هي قصيرة النظر تلك السياسة
التي تفرق بين اسرائيل وبين الاستعمار العالمي الذي تتزعمه امريكا •
ان النضال لاسترجاع فلسطين هو قبل كل شيء نضال ضد من هم وراء
اسرائيل ضد امريكا وضد حلف الاطلسي الذي تتزعمه امريكا • ان
اسرائيل قاعدة لضمان نهب ثرواتنا ولضمان تأخرنا ، فعلينا ان نزيل عنها
هذه الصفة بافهام الاستعمار مرة والى الابد اتنا نأبى استمرار النهب
واننا نتقدم على الرغم منه ومن قاعدته هذه • وعندئذ ، عندما تصبح هذه
القاعدة غير مفيدة له ، يتخلى عنها مرغما ويقطع مساعدته لها ، لان الكرم
أبعد صفة عن طبيعته وهو لا يدفع المال الا لاصطياد اضعافه بالنهب
والسرقة • اما ان نذهب اليه باكين شاكين ، اما ان نستجدي معوناته

– من اموالنا – ، اما ان نستجدي عطفه ، فهذا هو بالذات ما يعيد الى اسرائيل قيمتها كقاعدة مفيدة له ، وهذا هو بالضبط ما تريد وما ترمي اليه مخططاته • وعندئذ نسير نحو الانزلاق في شباكك حيث تعصف بنا دوامات عدم الاستقرار والتأخر تماما كما حدث ويحدث لبلاد امريكا اللاتينية •

التوسع الصهيوني في فلسطين

في فترة الانتداب ، اي فترة اقامة الوطن القومي اليهودي ، نجد الصهاينة يحتلون بمساعدة سلطات الاستعمار البريطاني جميع السهول الخصبة في فلسطين : وادي الاردن ، سهل ابن عامر ، السهل الساحلي حتى مشارف غزة • اما المناطق الجبلية ، منطقة الجليل ومنطقة نابلس – جنين – طولكرم ومنطقة رام الله – القدس ومنطقة الخليل ، فقد تركوها جميعها للعرب ، عدا بعض المستعمرات المتفرقة فيها وعدا القدس اليهودية • ولم يذهب الصهاينة في اتجاه التّقب الى ابعد من بير السبع ، أي انهم تركوا التّقب للعرب ، حيث كانت القبائل البدوية ترتحل فيه هنا وهناك •

ومما لا ريب فيه ان الصهاينة بانتقائهم تلك المناطق الانفة الذكر ، ليقيموا فيها استعمارهم كانوا يستولون على اخصب اراضي فلسطين • الا ان الدولة الكاملة لا تقتصر فقط على الاراضي الخصبة • فقليل اخصب قد يكون مخزنا لمياه كثير اخصب ، كما هو الحال في فلسطين : مياه المناطق الاسرائيلية تأتي جميعها تقريبا من المناطق الجبلية المحيطة • اصف الى هذا أن المعادن الثمينة والمنافذ التجارية والمناطق الاستراتيجية

قد توجد بأكثريتها في المناطق القليلة الخصب : كان البحر الميت بأجمعه بحيرة عربية ، الا مشروعات صهيونيين في تقطين من ساحله ، في الشمال وفي الجنوب ، وهو بحر غني جدا بالبوتاس والبروم . وفي النقب توجد مناجم النحاس والفوسفات ، وقد يكون هناك معادن اخرى . والنقب منفذ فلسطين على البحر الاحمر المتصل ببحار افريقيا الشرقية والشرق الاقصى والهند . ثم ان عرض المناطق اليهودية ايام الانتداب (وحتى اليوم) لا يتجاوز في اكثر الامكنة مرمى اي سلاح ثقيل يوضع في المناطق العربية .

ان هذا برهان جديد واضح على ما كنا قلناه من أن الصهيونية ليست أكثر من آلة بيد الاستعمار وهي لا تعتمد في بقائها الا على بقائه . وحساب الصهاينة كان منذ البدء كحساب الاستعمار : ابدية بقاء المستعمرين الانجليز في فلسطين والمنطقة العربية من الشرق الاوسط . لذلك لم تكن خططهم العملية تتجاوز حدود توفير الهجرة للعدد اللازم من اليهود لتأسيس الوطن القومي المزعوم ، في السهول والوديان العربية اما ثروات بقية مناطق فلسطين ، اما امكانيات هذه المناطق ، فان الصهاينة كانوا يعتمدون على المستعمرين ليوفروا لهم منافعها .

ولقد تغيرت الخطة عندما تغير شكل الاستعمار فانتقل من القديم الى الحديث ، وراينا ان قيام دولة اسرائيل أصبح من ضرورات تماسك الاستعمار الحديث وقيامه على قدميه في منطقتنا . وعندئذ أصبحت الاراضي التي استولت عليها الصهيونية في أيام الانتداب ، لاقامة الوطن القومي المزعوم غير كافية لقيام تلك الدولة . فضم لذلك مشروع التقسيم

اراضي النقب الى اسرائيل ، فأصبحت هذه الدولة بموجب المشروع المذكور ، تضم ما احتله الصهاينة أيام الانتداب مضافا اليه النقب • وعندما قدم الوسيط الدولي ، الكونت بيرنادوت مقترحاته في ٢٧ حزيران ١٩٤٨ ، وفيها يقول بوجود اعادة النقب والقدس الى العرب ، دفع حياته نمتا لهذا الاقتراح ، وقد غطت الولايات المتحدة هذه الجريمة بنفوذها - ولو انها تظاهرت رياء بالغضب وترحمت على بيرنادوت كما ترحمت مؤخرا انجلترا على همرشولد بعد ان قتلته - وساعدت على طمس تقرير الوسيط ليقبى النقب للصهاينة ، فهو يشكل رثتي اسرائيل وارض - ميعاد - واسعة - لملايين اليهود في خدمة - ارباب الميعاد - من آل روكفلر •

بعد هذا بقيت خطوات اخرى لا بد منها لاطالة عمر هذه الدولة الاصطناعية :

- التوسع في القسم العربي المخصص في مشروع التقسيم الذي أقرته الامم المتحدة •

- فتح خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية ••

- ضمان المياه اللازمة للزراعة والصناعة ولاستصلاح اراضي النقب المهيئة لاستقبال كتل المهاجرين الضخمة •

- فتح قناة السويس امام البضائع الاسرائيلية •

وقد تحقق التوسع على حساب - حصص العرب - اثناء الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ عندما كان المستعمرون يمسكون بخناق العرب

بواسطة حكامهم الرجعيين ويتركون الصهاينة يذبجون اهالي فلسطين
العزل •

وضم الصهاينة الجليل ، ومدوا سواحلهم الى الحدود اللبنانية في
الشمال والى جنوبي المجدل في الجنوب • واحتلوا اللد والرملة ومنطقة
ام الفحم وجنوبي الخليل وغيره •

ثم تحقق لهم فتح خليج العقبة على يد عبد الناصر الذي قبل بوضع
البوليس الدولي في منطقة شرم الشيخ في مطلع عام ١٩٥٧ • وما زال
الامريكان حتى هذه الساعة يبدلون كل ما يستطيعون من جهد لضمان
المياه للصهاينة بينما تقوم اسرائيل حاليا بانجاز مشاريع ضخمة للمياه •
وفي هذه الايام تمر البضائع من والى اسرائيل عبر قناة السويس تحت
اعلام دول الاستعمار وحليقاتها من الدول الاوروبية •

ان فتح خليج العقبة امام التجارة الاسرائيلية وصل هذه الدولة
باسواق افريقيا واسواق الشرق الاقصى ، الاسواق الدسمة للتجارة
الصهيونية • ذلك لان السوق الاوروبية التي كانت تتصل بها اسرائيل
قبل فتح العقبة ، عن طريق موانئها على البحر الابيض المتوسط لاتلائم
تجارتها لازدحام هذه السوق • وستكون نتيجة فتح العقبة التخفيف عن
كاهل الاستعمار في مساعداته لاسرائيل ، اذ تمكن هذه الدولة من تخفيف
عجز ميزانها التجاري بتصدير بضائعها الى هذه السوق الهائلة التي
فتحت امامها • ثم ان اتساع ميناء ايلات وتقدمه ، مع مشاريع الري
القائمة حاليا في النقب سيساعد على اعمار منطقة النقب زراعيًا وصناعيًا •
فاذا علمنا ان هذه المنطقة تساوي في مساحتها نصف مساحة اسرائيل

تبين لنا ان احلام الصهاينة ، ليست متواضعة ابدا ، بل انهم يخوضون
معنا حاليا معركة مضاعفة اسرائيل . فهل هنالك اي مجال للمعجب عندما
نرى امريكا في هذه الايام تركب العربة الناصرية لتفريق كلمة العرب
وضرب صفهم الوطني ؟؟

قضى بن غوريون اكثر من سنة في النقب من اواخر عام ١٩٥٣
الى اوائل عام ١٩٥٥ ، يدرس امكانيات هذه المنطقة ويشرف على توسيع
ميناء ايلات وعلى البدء في تنفيذ مشروع الري الكبير - من مياه الاردن -
للنقب وعلى الترتيبات الاولى للهجرة ، وذلك تحت ستار - الاعتكاف
والتأمل - . وعند عودته الى الحكم في عام ١٩٥٥ بدأ سياسة تتجه
بوضوح نحو الحصول على طريق حر للتجارة الاسرائيلية عبر
خليج العقبة .

وقد نشطت اميركا عندئذ بدفع عبد الناصر الى تنازلات في هذا
الاتجاه : فاقترح تسيير دوريات مشتركة مصرية - اسرائيلية ، ثم اقترح
وضع بوليس دولي بين الجيش المصري والجيش الاسرائيلي ، وكل
ذلك في عام ١٩٥٥ ، اي قبل العدوان الثلاثي بزمن طويل . وعندما
احيلت قضية العدوان على قناة السويس - في اواخر ١٩٥٦ واوائل عام
١٩٥٧ - الى الامم المتحدة كان وفد عبد الناصر من أول الوفود التي
صوتت الى جانب وضع البوليس الدولي في شرم الشيخ ، البوليس الذي
فتح خليج العقبة لتنفس اسرائيل جيدا .

ملاحظة : عندما ذهب وفد سوري الى اليمن في عام ١٩٥٧ كان
هنالك في صنعاء وفد اميركي يضم القاضي بريتون ، القاضي الذي رأس

مدة طويلة المحكمة المختلطة في القاهرة والذي تربطه بعبد الناصر صداقة
وطيدة يعرفها القاضي والداني • وقد جرت مناقشة بين احد اعضاء الوفد
السوري وبين هذا القاضي ، في مرة من المرات ، حول خليج العقبة ،
فقال القاضي : ولماذا تهتم سورية بخليج العقبة ؟ ان هذه المسألة تخص
مصر واسرائيل فقط •••

اسرائيل و الناصرية في خدمة الاستعمار

ان اسرائيل تقدم الان خدمات لا تقدر للاستعمار في البلاد المتخلفة
(وذلك بالاضافة الى انها قاعدة عدوانية من الدرجة الاولى ضد البلاد
العربية ، فكل حركة تحررية تظهر في البلاد العربية تهدد بعدوان هذه
القاعدة الاستعمارية) • فهي تلعب دور الجاسوس المستنزف في البلاد
الآسيوية الافريقية لمصلحة الاستعمار عن طريق
التظاهر بمساعدة شعوبها • أضف الى هذا ان كثيرا من رؤوس الاموال
الاستعمارية يتسرب الى البلاد المتخلفة عن طريق اسرائيل • فالاستعمار
يعلم مقدار ما تكنه الشعوب المتخلفة من حقد كبير عليه ، ويعلم انها
تنظر برية كبيرة الى كل حركة يقوم بها وتفضل التعامل مع الدول
الصغيرة •• وهنا يأتي دور الدولة « الصغيرة » اسرائيل في اخفاء رؤوس
الاموال الاستعمارية والدخول بها على تلك الشعوب • ولا بد من
الاشارة الى أن جمال عبد الناصر يقوم بذات الدور لحساب الاستعمار
في أفريقيا • انه مثلا سمح لرؤوس الاموال الاستعمارية بدخول مصر ،
على أن يسمح بتصديرها بعد ذلك الى البلاد الافريقية الآسيوية • وهو
أيضا يقوم في هذه البلاد بدور استفزازي لمصلحة الاستعمار الاميركي •

ففي صيف عام ١٩٦٠ قدم خدمة كبيرة للاستعمار الاميركي بمساهمته في تسليم الكونغو الى همرشولد ، الامين العام للامم المتحدة والعمل الاميركي المشهور ، وذلك بخدع لومومبا وايهامه بجدوى استدعاء قوات الامم المتحدة الى البلد المذكور . مع أن قليلا من الصبر كان كفيلا باخراج الاستعماريين البلجيكين من الكونغو ، لان هؤلاء ما كانوا يستطيعوا الثبات أمام الشعب الكونغولي الذي فرض عليهم حريته قبل تلك الحوادث بقليل ، وأمام غضب الرأي العام العالمي . وقد ساهم عبد الناصر في ذبح لومومبا تحت علم هذه القوات ، وتظاهر بالحزن عليه وسحب قواته من الكونغو امعانا في الدجل والخداع . لقد كانت غاية ما يصبو اليه الاستعمار الاميركي في أول أزمة الكونغو ، هي ان يكون له موطن ، قدم في هذا البلد ليصفي حساباته مع البريطانيين الذين كانوا قد وضعوا اليد على ثروات كتغا الاسطورية وقد مر معنا تفصيل ذلك . وكان مجيء همرشولد بقواته الى هذا البلد البائس كسبا كبيرا للمستعمرين الاميركان .♦♦

ولا بد هنا من ان نلاحظ هذه الملاحظة البالغة الخطورة ، وهي ان اسرائيل تأخذ في الدول المتخلفة جانب الرجعية ، بينما يعمل عبد الناصر على اجهاض الحركات الثورية في هذه الدول ، والسياسة ، والسياسة الصهيونية والسياسة الناصرية ، تتمان الواحدة الاخرى في خدمة الاستعمار العالمي ، ان انباء الستين الاخيرة ، منذ ان فتح خليج العقبة ، لم تخل أبدا من زيارة لسؤول افريقي أو آسيوي لاسرائيل ، في الوقت الذي نجد فيه عبد الناصر يجعل من القاهرة مصيدة لجمهرة

كبيرة من المناضلين ضد الاستعمار من الأفريقيين ، وذلك بشعاراته الزائفة الكاذبة ، حيث يعمل على الدس فيما بينهم وعلى تفريق صفوفهم . الا أن أمر عبد الناصر قد افترض في الايام الاخيرة ، وأدرك كثير من الأفريقيين دجله وخوعه للاستعمار الاميركي . وقد ترك الكثيرون من المناضلين الأفريقيين اللاجئين الى القاهرة مصر الى بلاد أخرى بعد ان تبينت لهم نيات الناصرية « غير النظيفة » .

زارني المرحوم صالح بن يوسف مرة عندما كنت في القاهرة . وقد حدثني حديثا طويلا ملآن بالشكوى من سوء المعاملة التي كان يلقاها من عبد الناصر وحاشيته . والمهم في هذا الموضوع أن هذا المناضل العربي بقي عشرات السنين رفيق نضال الحبيب بورقيبة ضد الاستعمار الفرنسي في تونس ، الى أن لجأ الاثنان الى القاهرة قبيل استقلال تونس . وكان عبد الناصر في الحكم في تلك الاثناء . ولم يمض وقت طويل على وجودهما معا قرب هذا « الزعيم المحب للحرية والاحرار » حتى « اكتشفا » أمرا ظل خافيا عليهما عشرات السنين . . « اكتشفا » عداؤهما الواحد للآخر . وقد انتهت حياة ذلك المناضل البائس ، صالح بن يوسف ، قتلا على ايدي مجهولين في ألمانيا الغربية التي لجأ اليها أيضا هربا من « محبة ناصر للاحرار » . .

وروى لي أحد الاصدقاء أن مناضلا كينيا رفض التحدث اليه ، عندما التقيا صدفة في بلد أوروبي لما علم هذا الكيني أن صاحبنا من الجمهورية العربية المتحدة التي يرأسها عبد الناصر . وعندما أفهمه صديقي بأن سورية تعاني ما كانت تعانيه من حكم الرئيس ، اشرح له

قلب الكيني وقص عليه ما يقوم به رسل الناصرية في كينيا من دس وتفريق بين الصفوف الوطنية الكينية : تارة بتحريض المسلمين على الوثنيين وأخرى بتحريض أفراد الجالية العربية على السود الخ ••

ان الحبشة بقيت لا تعترف بإسرائيل طيلة اثنتي عشرة سنة ، الى أن اشترك عبد الناصر مع أميركا في تدبير انقلاب ضد النجاشي هيلاسلاسي عام ١٩٦٠ • وكان أول عمل تقريبا قام به النجاشي بعد أن أخذ انفس الانقلابيين هو الاعتراف بإسرائيل اعترافا كاملا « نكايه بالعرب » الذين يظن بأن عبد الناصر يمثلهم • وكانت وكالات الانباء العالمية قد أذاعت نبأ طيارة مصرية كانت تحاول الهرب من مطار في أديس أبابا ، عاصمة الحبشة ، وفيها عدد من الضباط المصريين الذين اشتركوا بحركة الانقلاب الفاشلة ، وذلك عند دخول قوات النجاشي الى هذا البلد •

اسرائيل والمياه العربية

« •• ان اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه ، وعلى مصر هذه المعركة يتوقف مصير الكيان اليهودي ، وإذا لم ننجح في هذه المعركة فكاننا لم نفعل شيئا في فلسطين •• »

من خطاب بن غوريون في تل ابيب عام ١٩٥٥ •

مشاريع الري الاسرائيلية

ان الامطار والثلوج التي تسقط على المرتفعات ، ثم تتسرب مياهها في طبقات الارض هي مصدر المياه والينابيع والآبار ، فحيث لا مطر ولا ثلوج توجد الصحارى • فالامطار والثلوج التي تسقط على جبل الشيخ

بمعدل يزيد عن ١٣٠٠ مليمتر سنويا ، وعلى هضبتي الجولان وحووران
ومرتفعات الجليل وجبال عامل بمقدار ١٠٠٠ مليمتر سنويا ، وعلى
مرتفعات نابلس ورام الله والقدس بمقدار ٦٠٠ مليمتر سنويا هي مصدر
كل ما في فلسطين من مياه ، وجميع المناطق السابقة ، الا منطقة صغيرة
هي الجليل مناطق عربية غير محتلة : جبل الشيخ في سورية ولبنان ،
الجولان وحووران في سورية ، جبال عامل في لبنان ، مرتفعات نابلس ورام
الله والقدس تشكل الضفة الغربية من الاردن .

ان التقديرات الحالية لكميات المياه التي تنحدر او تسرب من هذه
المرتفعات الى فلسطين فتشكل عيونها وانهارها ومياهها الجوفية وسيولها ،
تصل بسهولة الى مليارين ونصف مليار متر مكعب سنويا ، منها ما يقرب
المليارين تنحدر في وادي الاردن وحده . وكان الصهاينة في عام ١٩٤٨
يستثمرون ٢٥٠ مليون متر مكعب سنويا ، الا انهم في فترة عشر سنوات
رفعوا هذه الكمية فأصبحت ١١٥٠ مليون متر مكعب سنويا في عام ١٩٥٨
وذلك باقامة عدد من مشاريع الري .

- مشروع الحولة لتنظيم مياه الاردن وتجفيف بحيرة الحولة .
- مشروع بيسان المستند الى بحيرة طبريا .
- مشروع الجليل الغربي لاستثمار مياه الجليل الغربي بعد
حصرها وتنظيمها .
- مشروع اليركون - النقب ، ويمتد من تل ابيب حتى بئر السبع ،
ويستثمر مياه الضفة الغربية التي تنحدر نحو الساحل .
- مشروع الاردن - النقب وهو اكبر مشروع وستكلم عنه بشيء
من التفصيل .

فالري قد ازداد اذن في اسرائيل بمقدار ٥٠٠٪ في فترة عشر سنوات ، وازدادت بالفعل مساحة الاراضي المروية ٥٠٠ بالمائة في ذات الفترة : من ٣٠٠ الف دونم عام ١٩٤٨ الى مليون ونصف المليون دونم في عام ١٩٥٨ . ثم ان الصهاينة يأملون في مضاعفة الاراضي المروية في مشاريعهم المقبلة ، وذلك بتطوير شبكات الري ، كما انهم يقدرون زيادة كميات المياه المستثمرة بمقدار ١٠٠ - ١٥٠ مليون متر مكعب سنويا - انظر كتاب اسرائيل الصادر عن الجيش السوري - . وان هذا يعني ببساطة مضاعفة عدد اليهود في اسرائيل .

نشرت جريدة النيويورك هيرالد تريبيون مؤخرا مقالا لمراسلها في تل ابيب حول تحويل مياه الاردن الى النقب . وقد قال المراسل بان هذا المشروع هو الجزء الاسرائيلي من مشروع جونستون ، وانه سيسير لاسرائيل ارواء ٧٥ الف هكتار جديد من اراضي النقب اي زيادة الاراضي المروية الاسرائيلية بمقدار ٥٠٪ . ويقول المراسل المذكور ، بناء على المعلومات التي استقاها من سلطات تل ابيب ان مشروع الاردن - النقب يهدف الى تحويل ٣٢٠ مليون متر مكعب سنويا من مياه بحيرة طبريا . والواقع ان جميع الارقام التي ترد من اسرائيل عن المياه هي دون الحقيقة بكثير . ذلك لان مشاريع الري الصهيونية هي جزء من الحرب التي تشنها الصهيونية على العرب ، والمياه سر استراتيجي في هذه الحرب . انها معركة ، كما يقول بن غوريون في خطابه الشهير في تل ابيب عام ١٩٥٥ ، الخطاب الذي أشرنا اليه في مطلع هذا البحث . ان الصهاينة يحاولون ايحاما بان ما سيأخذونه من الاردن يساوي اقل من

نصف حاجتهم من المياه للتوسع في النقب : فما سيأخذونه من طبريا ٣٢٠ مليون متر مكعب ، على حسب قول مراسل النيويورك هيرالد الذي اشرفنا اليه سابقا ، وما يحتاجونه هو ٧٥٠ مليون متر مكعب على أقل تقدير - 'ارواء ٧٥ الف هكتار في النقب بمعدل عشرة آلاف لتر لكل هكتار في الموسم - . بل ان بعض الدراسات ، ومنها عربية بكل أسف ، توهمنا بان غاية مشروع الاردن اخذ ٢٠٠ مليون متر مكعب سنويا الى النقب . . حسابات تشبه تماما حسابات روكفلر البترولية عندما يمارس عملية نهب بترول الشرق الاوسط .

ان اقل التقديرات ، وهي تقديرات صهيونية قدمت بمناسبة مشروع جونستون تبين ان الكميات السنوية لمياه الاردن ، بما في ذلك جميع روافده وينابيعه ، مع ما يؤمل ان يأتي من مشروع على الليطاني في لبنان ، تساوي ٢٣٤٥ مليون متر مكعب . وقد طالب الصهاينة بهذه المناسبة ، اي مناسبة مشروع جونستون بحصة من المياه تساوي ١٢٩٠ مليون متر مكعب . وعندما نستثني اليرموك وينايع بحيرة طبريا وما كان يؤمل ان يأتي من الليطاني نجد ان الاردن الذي يخرج من الحولة يصب في بحيرة طبريا كميات من المياه لا تنقص عن ٧٠٠ مليون متر مكعب سنويا ، وذلك دون حساب السيول التي ترفع الارقام السابقة بنسب لا بأس بها . وسنين فيما يلي من البحث الترتيبات التي أعدها الصهاينة لسرقة مياه الاردن وتحويل هذه المياه الى النقب .

اثر المشاريع العربية في اسرائيل

ان قيام مشاريع الري والكهرباء في البلاد العربية ، المشاريع التي

تستند الى تحويل روافد الاردن ، وعلى حفر الآبار ، وعلى اقامة سلسلة من السدود في طريق السيول المتجهة الى اسرائيل ، امر بالغ الاهمية في التنمية الاقتصادية لكل من سورية ولبنان والاردن ، بل انه لا يقل في نتائجه الاقتصادية عن بناء سد الفرات . وتتضمن هذه المشاريع بصورة عامة الخطوط التالية :

اولا : ارواء الجولان وحووران بتحويل بانياس ، الرافد الشمالي للاردن وبحفر سلسلة من الآبار في هاتين المنطقتين .

ثانيا : اتمام ارواء حوران بتحويل جزء من نهر اليرموك ، الرافد الاوسط للاردن ، وترك الجزء الآخر من هذا النهر لارواء الغور العربي . وفي هذه الحالة يمكن الاستفادة من مسقط المياه الذاهبة الى الغور العربي لتوليد طاقة كهربائية تفيد في رفع حصة سورية الى خزان على ارتفاع مناسب ، بحيث يمكن ارواء منطقة مناسبة من هضبة حوران . وقد تتوفر بعد هذه قدرة كهربائية تساعد على بناء صناعة مفيدة ، كمصنع اسمدة وما شابه .

ثالثا - تحويل الحاصباني في لبنان الى الليطاني ، والقيام بسلسلة مشاريع على الليطاني بحيث يتولد من كل هذا طاقة كهربائية لا يستهان بها ابدا . وعندئذ يمكن ارسال كمية من المياه الى سلسلة من الخزانات لارواء السفوح الغربية لجبل الشيخ ، وارواء منطقة القرعون وجنوبي البقاع ، وارواء جبل غامل - الذي لم يتلحق سكانه من عهد الطوفان - ثم انه من الممكن عندئذ اقتناص عيون مرج عيون ومنعها من السيلان في الاردن الى الاراضي المحتلة والاستفادة منها في ارواء المناطق الشمالية

لشرقية من جبال عامل • ويمكن اتمام هذا المشروع بحفر سلسلة من الآبار واقامة سلسلة من السدود لحصر مياه السيول في ايام الشتاء والاستفادة منها صيفا •

رابعا - القيام بسلسلة من مشاريع الري في جبال نابلس والقدس ورام الله بتحويل الغدران ، وحصر الينابيع ، واقامة السدود لحصر السيول وحفر سلسلة من الآبار في الاماكن المناسبة •

كل هذه المشاريع والاعمال تهدد بالفشل مشاريع اسرائيل لاستثمار المياه العربية ، الامر الذي لا يهدد توسع هذه الدولة الاصطناعية فحسب بل يهدد وجودها من اساسه • • وقد رأينا نحن في سورية بالتجربة مثل هذا الامر فقد ادت اعمال التوسع في الري في حوض دمشق خلال السنين الاخيرة ، اي خلال عشر سنوات فقط ، الى جفاف بحيرتي العتيبة والهيجانة ، اللتين تكوتا من آلاف السنين ، بالاضافة الى جفاف الكثير من الابار - انظر مقال الدكتور جان خوري في مجلة المهندس العربي عدد ٤ عام ١٩٦٢ - • وقد ترددت هذه الظاهرة في اكثر من منطقة في سورية وهي ظاهرة طبيعية ومفهومة تماما •

فكل اقليم على سطح الارض ينقسم الى عدد من المناطق الهيدروغرافية المائية - ، بحيث تشكل مياه كل منطقة من هذه المناطق جملة مائية مترابطة لا ينفصل بعضها عن بعض ابدا : فالينابيع والانهار والسيول والمياه الجوفية والآبار في منطقة هيدروغرافية واحدة ، تتأثر كلها بعضها البعض الآخر ، وترتبط ببعضها البعض بتضاريس الارض وطبقاتها ، على حسب قوانين فيزيائية - يمكن

تحديدها - بحيث تشكل جميعها كلا واحدا لا يتجزأ • والمساس
بطرف من هذه الجملة لا بد من ان يؤثر بكيفية ما ، بالاطراف الاخرى
منها : حفر سلسلة من الآبار مثلا واستثمارها يؤدي الى جفاف سلسلة
اخرى من الآبار ، في مكان قريب او بعيد • وعند القيام بدراسة كاملة
لهذه الجملة ، من النواحي الجغرافية والجيولوجية والفيزيائية تتمكن
من اكتشاف قوانين ارتباطاتها وبالتالي اكتشاف الطرق الآيلة الى التحكم
بها • وهذا يعني بوضوح أن بإمكان العرب قطع المياه عن اسرائيل لان
فلسطين تشكل تقريبا منطقة هيدروغرافية واحدة •

الاستعمار يسعى الى وضع العرب في شركة مياه مع الصهاينة

تدرك اسرائيل تماما خطورة وضعها في مسألة المياه ، المياه التي
قلنا انها تأتي كلها تقريبا من الاراضي العربية المحيطة بالارض المحتلة
فهي لذلك تولي هذه المسألة الاهتمام الاول دائما • فمنذ عام ١٩٤٦ ،
اي قبل قيام اسرائيل بستتين ظهر مشروع صهيوني باسم - هايز -
سافيج - غايته تحويل مياه الاردن اعتبارا من الاراضي العربية الى
النقب • والهام في هذا المشروع هو ما يهدف اليه من تعاون بين العرب
والصهاينة على استثمار المياه العربية ، الامر الذي يعني الاعتراف لاسرائيل
رسميا بحصة من المياه العربية ، وبالتالي الاعتراف لها بالتدخل في اي
مشروع من مشاريع الري قد تقوم به دولة او دول عربية ، بحجة حقها
المزعوم في المياه العربية • اي ان المشاريع العربية ، التي سبق وتكلمنا
عنها ، كتحويل فروع الاردن وادواء سهل حوران وغيره ، هي امور

ممنوعة على العرب ما لم يسمح بها الصهيينة ، ولا يسمح بها الصهيينة
ما دامت تؤدي الى قطع المياه عنهم •

ثم يأتي ، في عام ١٩٥٣ ، مشروع جونستون الامريكى المشهور ،
المشروع الذي تظاهرت اسرائيل برفضه ، خبثا ورياء ، والذي كان عبد
الناصر يدفعنا الى قبوله بحجة ان الصهيينة يرفضونه •• هذا المشروع
يستهدف الاهداف الاساسية التالية :

أولا - مشاركة الصهيينة للعرب في كل ما في حوض الاردن من
مياه • اي اقرار الصلح بين العرب والصهيينة عمليا وبالتالي التنازل عن
كل حقوقنا في استعادة ارض فلسطين ، لان الشريك يعترف بشريكه •

ثانيا - منع العرب ، بحجة هذه الشركة من القيام بأي مشروع من
مشاريع الري التي ذكرناها آنفا ، والاحتفاظ بحصة الاسد للصهيينة من
مياه الاردن لزيادة امكانيات الهجرة الى فلسطين ، وبالتالي رفع الطاقة
البشرية الصهيونية ، الطاقة الاساسية في الصناعة وفي الحروب •

ثالثا - السماح للعرب ببعض مياههم للقيام باسكان اللاجئين
الفلسطينيين في الاقسام العربية من وادي الاردن : في مناطق الجبهة
السورية ، وفي النور الاردني • وبهذا يقر العرب مبدأ عدم عودة
اللاجئين الامر الذي يوفر مزيدا من هجرة الصهيينة الى فلسطين •

رابعا - عندما يصبح وادي الاردن شركة بين الصهيينة والعرب ،
يأمل الصهيينة في أن يتغلغلوا في هذا الوادي على حساب العرب بالقوة
او بالحيلة •

ويكفي ان نورد العبارتين التاليتين اللتين وردتا في حيثيات المشروع
لادراك مغزاه الاستعماري .

« ان بعض نواحي المشروع قد يكون تنفيذها
في حكم المستحيل ما لم تجر تسويات سياسية
(بصريح العبارة : ما لم يتم الصلح بين العرب
والصهاينة) لقيام مراقبة مناسبة على المياه وايجاد
ضمانات كافية لتأمين اسالتها باستمرار »
« وان الحدود الوطنية القائمة حاليا تجعل
من غير اليسير والمستطاع استغلال مصادر المياه
تحتوحي اليرموك والاردن الا اذا تم التعاون بين
الدول ذات العلاقة (اي التعاون بين العرب
والصهاينة) »

انظر كتاب اسرائيل لقيادة الجيش السوري صفحة ١٣٤ .

وهذا القول يبين بوضوح ما بعده وضوح الفخ الذي تريد امريكا
ايقاعنا فيه : التنازل عن فلسطين عن طريق شركة المياه مع الصهاينة . ويبين
ايضا مقدار جزع الاستعمار الامريكى واسرائيل من قطع المياه عن الاخيرة
من قبل العرب ، فهم يفتشون عن - الضمانات - الكافية لتأمين اسالة
المياه العربية الى الصهاينة . الا ان سورية قادت العرب الى قبر هذا
المشروع في مهده عام ٩٥٥ وذلك على الرغم من الضغط الناصري
الامريكى .

مشروع تحويل الاردن الى النقب

اسرائيل تسابق الزمن في مشاريع الري

كانت اسرائيل منذ عام ٩٥٣ قد وضعت مشروع ري ينجز بعشر

سنوات يمكن تسميته بحق الجزء الاسرائيلي لمشروع جونستون اي ان المشروع الاستعماري الاخير عرض على العرب من قبل امريكا بعد أن صممت اسرائيل جزءها الخاص بها منه • وقد بدأ الصهاينة فعلا منذ ذلك التاريخ بتنفيذ هذا الجزء العائد اليهم في مشروع جونستون دون ان ينتظروا موافقة العرب على هذا الاخير او رفضهم اياه • وهم اذ يغامرون بكل الانشاءات الضخمة اللازمة لمشروعهم ، الانشاءات التي لا تفيدهم بشيء الا باستمرار سيلان المياه العربية الى فلسطين بيتون النية على فعل كل شيء لمنع او عرقلة كل مشروع عربي لتحويل المياه الى غير الاراضي الفلسطينية المحتلة • اصف الى هذا انهم يأملون دوما بالعودة الى مشروع جونستون ، او الى اي مشروع آخر يشاركون العرب فيه وتكون الفائدة منه اكبر لهم ، و ذلك عن طريق الضغط والفساد والتآمر على كل بلد عربي ينهه هذا الامر ، بواسطة حماة المستعمرين ، وبواسطة عملاء المستعمرين من بني جلدتنا •

ان الاستراتيجية الصهيونية في معركة المياه العربية تستهدف امرين
خطيرين :

اولا - مضاعفة عدد اليهود في فلسطين بايصال هذا العدد الى خمسة او ستة ملايين وذلك بارواء النقب الذي تساوي مساحته نصف مساحة فلسطين •

ثانيا - منع عودة اللاجئين العرب الى ديارهم في فلسطين ، وبالتالي عدم مضايقة هجرة اليهود الى هذا البلد بزيادة كثافة سكانه بعودة العرب اليه • ولما كان معظم اللاجئين يقطنون حاليا الاردن ، فان بعض مشاريع

الري في البلد الاخير يساعد على توطين هؤلاء اللاجئين نهائيا في هذا البلد العربي ، وذلك على أن لا تكلف هذه المشاريع كميات كبيرة من المياه التي تؤخذ من المشاريع الصهيونية لري النقب ، او بالاحرى من حسابات الصهاينة في مشاريعهم لري النقب .

وبالفعل رفضت وكالة غوث اللاجئين الواقعة تحت النفوذ الامريكى ، مساعدة الاردن في مشروع اليرموك عام ١٩٥٢ ، لان هذا المشروع كان يهدف الى تحويل كميات كبيرة من المياه عن الارض المحتلة ، والى استعمال هذه المياه في ري الاراضي الاردنية . اضع الى هذا ان المستعمرين الامريكان كانوا في ذلك الوقت ، يعدون ، من وراء العرب ، مشروع جونستون للشركة بين العرب وبين اسرائيل على المياه العربية وتنظيم توزيع هذه المياه بحيث تحرم منها سورية تقريبا ، وبحيث يأخذ الاردن جزءا ضئيلا منها ، وبحيث تفوز اسرائيل بهذا التوزيع بحصة الاسد ، وفي هذا المشروع كان مقدرًا تحويل مياه اليرموك الى طبريا . ابي الى اسرائيل ، اولا وقبل أن يأخذ الاردن منه قطرة ماء . وعندما فشل هذا المشروع الاستعماري عادت وكالة الغوث المذكورة وساعدت الاردن في مشروع آخر لليرموك ، ترك فيه حصة هامة من المياه تذهب الى نهر الاردن بانتظار استثمارها من قبل اسرائيل . والغاية من هذه المساعدة هي كما قلنا ، مساعدة اسرائيل على رفض عودة اللاجئين الى ديارهم بتوطينهم في الاردن .

خدعة الفصل بين اخذ مياه طبريا وبين تحويل الاردن

هناك امر هام في معركة المياه العربية ، وهو محاولة اسرائيل تموين

صحراء النقب بالمياه العذبة • بتحويل الاردن اعتبارا من مخرجه من الحولة الى تلك الصحراء • الا ان هذه العملية تحتاج الى حفر قناة في الاراضي المجردة أمام الجبهة السورية وتحت نيران مدافعنا •

وعبنا حاول الصهاينة منذ عام ١٩٥٣ حتى يومنا هذا ، انمام هذا الجزء من مشروع تحويل الاردن الى النقب ، الا انهم كانوا يفشلون امام نبات سورية في الدفاع عن حقها •

حاول جمال عبد الناصر ، في أيام الوحدة جر الوزراء السوريين الى الموافقة على - السكوت - عن تحويل الاردن الى النقب ، بالسماح لاسرائيل بانجاز تلك القناة في الاراضي المجردة فطرح خريف عام ١٩٥٩ على مجلس الوزراء في القاهرة عرضا لهرشولد بتقديم اموال امريكية ضخمة لمساعدة العربية المتحدة في برامج التنمية وذلك لقاء سكوت سلطات هذه الجمهورية عن تحويل مجرى النهر من الاراضي المجردة •• وكانت نظرية عبد الناصر • على حسب ما شهد به الوزراء السوريون الذين حضروا تلك الجلسة بياناتهم التي نشرها في صيف هذا العام - ١٩٦٢ - ان الصهاينة سيجدون الوسيلة لتحويل النهر ، قبل العرب بذلك ام لم يقبلوا ، فيكون من الافضل اذن برأي الرئيس عبد الناصر ، أن - يقبض - العرب ثمن هذا التحويل اموالا تقيدهم في برامج - التنمية - (التي من جملتها طبعا برنامج تنمية المباحث) وكان عبد الناصر يتوهم في ذلك الوقت انه قد يتمكن من اكمال مخطظه في تصفية الجيش السوري ، الجيش الذي وقف دائما وابدا ضد جميع مشاريع المستعمرين والصهاينة ، ليخلو له الجو تماما مع أمريكا واسرائيل •

الا ان الاجتماعات الوزارية العاصفة ، التي جرت في اواخر عام ١٩٥٩ في القاهرة ، لم تمنع عبد الناصر ان اوهامه ليست مجرد اوهام فحسب ، بل بينت له ان حكمه سينسف من اساسه فيما لو تجرأ وخطا هذه الخطوة المجرمة .

وفي شهر آذار عام ١٩٦٠ قام بن غوريون برحلة الى امريكا ، حيث قابل الرئيس الامريكى اينزهور ، والرئيس الالماني الغربى ادنور - الذي كان في أمريكا أيضا تلك الايام وذلك خصيصا لمقابلة بن غوريون - وهرتر وزير خارجية الولايات المتحدة وهمرشولد الامين العام للأمم المتحدة وقد باحث بن غوريون كل هؤلاء في قضية تحويل الاردن . ومن الواضح ان هذه الزيارة كانت اثر فشل عبد الناصر في تحضير الجو الملائم في سورية لتمكين اسرائيل من تحويل الاردن من الارض المجردة امام الجبهة السورية ، الفشل الذي نوهنا عنه قبل هنيهة . وقد صرح بن غوريون في اعقاب هذه الزيارة بأن الرئيس الامريكى نصحه بأخذ المياه من بحيرة طبريا دون ان يمانع في تحويل الاردن من الاراضى المجردة . والغريب أن يكون موضوع تصريح بن غوريون متشابها مع موضوع ابحات المجلس الوزارية القاهرية (السرية) . والغريب ان تقارب تواريخ انعقاد هذه المجالس . وتاريخ رحلة بن غوريون الى امريكا : كان اول اجتماع وزارى في القاهرة لبحث موضوع الاردن في ٢٩ تشرين الثانى ١٩٥٩ ، واحيلت القضية الى اللجان التي استمر عملها طيلة شهر كانون الاول ١٩٥٩ ، وجرى اجتماع وزارى آخر في ٩ كانون الثانى ١٩٦٠ ، وسافر بن غوريون الى نيويورك في شهر آذار عام

١٩٦٠ • فلماذا لم يسافر بن غوريون مثلا قبل اجتماع مجلس وزراء القاهرة في تشرين الثاني اذا كان الامر محض صدفة ٩٠٠

ان العجب يزول عندما ننسب الى ان الاستعمار الامريكى هو الذي يمسك بخيوط الصهاينة وبخيوط الناصرية ، وان همرشولد عميل هذا الاستعمار ، كان هو السمسار لتلك العملية ، فنجد لذلك أن الموضوع الذي يبحث في مجلس وزراء القاهرة « بشكل سري » عن الشعب العربي يبحث أيضا في تل ابيب وفي واشنطن وفي بون • »

نقول ان بن غوريون صرح في اعقاب زيارته تلك لواشنطن بأن الرئيس الامريكى نصحه بأخذ المياه من طبريا دون ان يمانع في تحويل الاردن من الارض المجردة • وعند تمحيص هذا التصريح يتضح لنا الدجل وتتضح لنا التعمية • فبحيرة طبريا هي خزان هام في مشاريع الري الاسرائيلية • وسنين فيما سياتي من البحث أن تحويل النهر من الاراضي المجردة لا يتعارض مع الاعمال التي يقوم بها الصهاينة في هذه الايام على طبريا بل ان هذه الاعمال مع عمل تحويل الاردن من الاراضي المجردة ، كل هذه الاعمال لا تشكل الا اجزاء من مشروع واحد ضخم •

كان عبد الناصر يقول للوزراء السوريين في اجتماعات تشرين الثاني عام ١٩٥٩ الشهيرة ان من - حق - الصهاينة ان يحولوا الماء من - ارضهم - خارج الاراضي المجردة ، من طبريا مثلا ، ولذلك كان من الحكمة برأيه ان تقبل بتحويل الاردن من الاراضي المجردة لقاء دريهمات معدودات يغدقها عليه ايزنهور ويحملها اليه السمسار

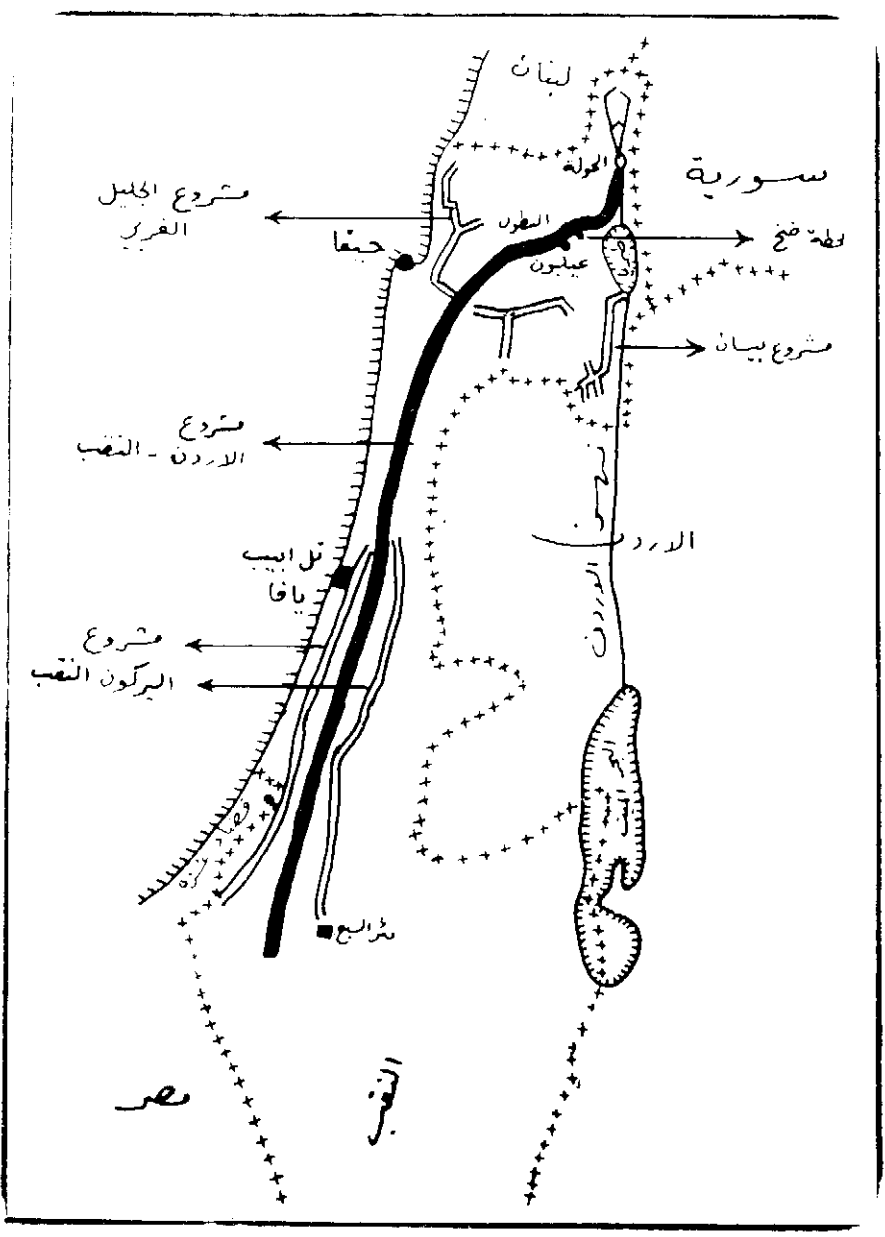
همرشولد • وكان الآخر بن غوريون يقول بعد زيارته لأمريكا ومقابلته
للشخص الذين ذكرناهم آنفا ، ان ايزنهاور لم يمنع تحويل الاردن
الا انه نصح بضخ المياه من بحيرة طبريا •• والاثان ، عبد الناصر وبن
غوريون يتفقان في محاولة ايهام العرب ودفعهم الى الفصل بين عملية
التحويل وبين الاعمال التي تقرر ان تقوم بها اسرائيل على طبريا مع أن
عملية التحويل والاعمال التحضيرية على هذه البحيرة ، ليست الاحقات
في سلسلة واحدة •

ان هذا الدجل والكذب من قبل عبد الناصر وبن غوريون معا ليسا
من قبيل العبت والتسليية بخداع العرب ، وانما يهدفان الى امر خطير
هو التسيط من عزائم السوريين في الوقوف أمام عمليات التحويل من
الاراضي المجردة :

يقوم الصهاينة بأعمال تحضيرية على بحيرة طبريا ، وهذا فعل يشكل
جزءا لا يتجزأ من مشروعهم ، ويوهمون السوريين بأنهم استغنوا عن
تحويل الاردن من الاراضي المجردة : (التحويل ، الذي يشكل أيضا
جزءا لا يتجزأ من مشروعهم) ، وذلك بالتظاهر بانهم سيأخذون الماء
من طبريا •

ويظن الصهاينة ويظن الاستعمار معهم ان السوريين سيجدون ان
ممانعتهم التحويل من الأرض المجردة ضرب من العبت ماداموا قد خدعوا
فظنوا بان التحويل سيجري من طبريا •

عندئذ يتدخل عبد الناصر ليستغل هذا الموقف ويحتج - بالتمية -
وبالاموال الأمريكية - الوفيرة - •• لعل السوريين يقلون بعملية



لبنان

سورية

مشروع الجليل
الغربي

حيفا

الطرون
عينيون

مشروع
بيان

مشروع بيان

مشروع
الاردن - النقب

تل ابيب
يافا

الاردن

مشروع
البركون النقب

بئر السبع

النقب

ع

التحويل من الاراضي المجردة لقاء الاموال الامريكية ، ولان ممانعتهم
التحويل - لا تفيد شيئا - ...

ولا يخسر الصهانية شيئا من اعمالهم في بحيرة طبريا ، التي من
جملتها اقامة محطة لتوليد الكهرباء بالمحروقات - المازوت - فيما لو
سمح لهم السوريون بالتحويل من الارض المجردة ، لاننا قلنا ان العمليتين
جزء لا يتجزأ من مشروع واحد ثم ان الصهانية يتمكنون بسهولة من
استثمار اعمالهم في بحيرة طبريا : الاعمال التي اشرفنا اليها آنفا ، لاقامة
مشروع موقت يهدف الى ضخ كمية من المياه كافية للمبدء في مشروع
الاسكان في القب ، وذلك بانتظار الفرصة المناسبة لمعاودة محاولة تحويل
الاردن من الاراضي المجردة .

ان عملية الخداع الآنفه الذكر ، لايها منا بعدم جدوى منع التحويل
من الاراضي المجردة لاتضيع وقت الصهانية ، وكان عبد الناصر يشارك
بجد في هذا الخداع .

الاقسام التي انجزت من مشروع الري الاسرائيلي

ان مشروع الري الذي تقوم به اسرائيل حاليا ، والذي قلنا انها
بدأت به منذ عام ١٩٥٣ ، يرتكز على اعتبار بحيرة طبريا خزاناً طبيعياً
ضخماً للمياه وحوضاً هائلاً لتربية الاسماك . وقد انجز الصهانية من هذا
المشروع الاعمال التالية (انظر المخطط) :

اولاً : الجزء الاعظم من قناة ستأخذ مياه نهر الاردن من مخرج
النهر من الحولة الى عيلبون ، حيث ستوضع محطة لضخ المياه الى سهل
البطوف الذي يرتفع عن سطح البحر بمقدار ١٥٠ متراً . وستسير المياه

في هذه القناة بالسيلان الذاتي - بالراحة - حتى محطة الضخ المذكورة .
ويتفرع عن القناة في نقطة تشرف على قرية الطابغة (وترتفع عن بحيرة
طبريا بمقدار ٢٦٠ مترا) ، شلال يحرك مجموعة كهربائية . وستدار
محطة الضخ في عيلبون بالتيار الكهربائي المتولد من هذه المجموعة
الكهربائية لترفع مياه القناة الأنفة الذكر الى مرتفعات البطوف . كما أن
التيار الكهربائي المذكور سيستخدم لتقوية الشبكة الكهربائية في المنطقة .

ان جزءا من القناة السابقة يجب ان يمر من الاراضي المجردة ،
امام الجبهة السورية . وقد قلنا ان اسرائيل حاولت منذ بدء الاعمال
في مشروع الاردن - النقب انجاز هذا الجزء الا ان سورية منعتها ولا
تزال تمنعها حتى الآن من اتمام هذا العمل .

ثانيا - في الرحلة التي قام بها بن غوريون الى امريكا في ربيع عام
١٩٦٠ ، والتي تكلمنا عنها فيما سبق ، تمكن هذا من الحصول على المال
اللازم من امريكا وألمانيا الغربية لاقامة محطة ضخ تعمل على المحروقات
في منطقة الطابغة . وقد تواترت الانباء بأن الصهاينة قد انجزوا بناء هذه
المحطة التي ستدفع الى سهل البطوف ، ومن هذا السهل الى النقب ، الماء
اللازم للبدء بمشاريع الاسكان في منطقة النقب . الا ان الجدير بالملاحظة
ان هذه الانشاءات لا تكفي لتوفير كل الماء اللازم لاعمار النقب ، وبالإضافة
الى هذا فان منطقة النقب يزيد ارتفاعها عن سطح بحيرة طبريا اربعمائة
متر ، الامر الذي يزيد زيادة كبيرة في نفقات تحويل المياه من البحيرة . الا
انه من جهة اخرى تفيد هذه الانشاءات بتوليد تيار كهربائي - بالمازوت -
كما تفيد بمساعدة القناة المذكورة آنفا - في البند الاول - في توفير المياه

الاضافية من بحيرة طبريا عندما يتدفق ملايين اليهود الى النقب وتدعو الحاجة الى المزيد من المياه .

ثالثا - انجزت اسرائيل تمديدات الانابيب من سهل البطوف

الى النقب .

سيكون مشروع الاردن - النقب بمثابة العمود الفقري لجميع مشاريع الري الاسرائيلية ، وسيصل بها جميعها تقريبا - بالحسابات الاسرائيلية طبعاً - ، سيتصل بمشروع الجليل الغربي ، وبمشروع بيسان وبمشروع اليركون - النقب ، فيمد هذه المشاريع بالماء للزراعة والصناعة والاستهلاك الشخصي ، عند الحاجة ، ويأخذ منها الفائض الى النقب عندما يكون فيها فائضا .

ان التقديرات الاسرائيلية لمياه الاردن ، التي تسيل بانتظام هي

٧٠٠ مليون متر مكعب سنويا موزعة كما يلي :

١٥٧ مليون متر مكعب لنهر بانياس - ينبع في سورية -

١٥٧ مليون متر مكعب لنهر الحاصباني - ينبع في لبنان -

٢٥٨ مليون متر مكعب لنهر دان - ينبع من تل القاضي في

الاراضي المحتلة -

١٣٠ مليون متر مكعب من ينابيع متفرقة .

المجموع ٧٠٢ مليون متر مكعب سنويا .

انا نعتقد بأن هذه التقديرات هي دون الواقع بكثير ، بالنظر

لغزارة ما يهطل من امطار وثلوج على المرتفعات المحيطة بالجزء العلوي

من وادي الاردن : جبل الشيخ ، الجولان ، الجليل الشرقي . ومع ذلك

فاننا اذا اضفنا الى التقديرات الاسرائيلية ما ينحدر في الوادي من السيول فان الكمية السابقة تتجاوز بسهولة ٨٠٠ مليون متر مكعب سنويا .
ان تحويل هذه الكمية الهائلة من المياه من الحولة الى النقب بمنعها من الوصول الى طبريا يوفر ارتفاعا يقرب من ٢٦٠ مترا : (ينخفض سطح طبريا عن سطح البحر بمقدار ٢١٠ أمتار) وترتفع قناة تحويل الاردن من الحولة حتى عيلبون بمقدار وسطي يبلغ ٥٠ مترا .
الا ان سهل البطوف يرتفع عن القناة الآفة الذكر بمقدار ١٠٠ متر ويرتفع النقب عنها بمقدار يزيد عن ١٥٠ مترا ، فاذا لزم تحويل كل الكمية السابقة ، اي ٨٠٠ مليون متر مكعب سنويا وهي كمية ضرورية لاستصلاح ٧٥ ألف هكتار في النقب وللصناعة وللاستعمال الشخصي لملايين المهاجرين بل انها دون كفاية كل هذه الحاجات . نقول اذا لزم تحويل كل تلك الكمية وجب استعمال التيار الكهربائي لمحطة الضخ على طبريا ، التيار المتولد بالحروقات - بالمازوت - ، ووجب توليد قوى كهربائية أخرى لمساعدة التيار الانف الذكر .

الا أن ملايين اليهود لن يأتوا دفعة واحدة ، ولن تبت المصانع في يوم واحد ، ولن تستصلح كل تلك الاراضي في سنة واحدة ، لذلك يمكن التفكير بتوليد تيار كهربائي بالشلال الذي قلنا انه يحرك محطة كهرومائية عند قرية الطابغة على طبريا ، ويمكن استعمال هذا التيار في رفع جزء من مياه قناة التحويل عند عيلبون الى سهل البطوف .

ويوجد في طبريا ينابيع مالحة تعطي سنويا مقدار ٣٥٠ مليون متر مكعب . ويبلغ مقدار ما يتبخر سنويا من هذه البحيرة نحو ٣٠٠ مليون

متر مكعب ، كما ان هنالك يتابع عذبة - في شرقي البحيرة - تعطي سنويا ١٥٠ مليون متر مكعب ، فعودة جزء من مياه نهر الاردن بواسطة شلال الطابغة الانف الذكر ، الى البحيرة ، يحافظ على النسبة المنخفضة للملوحة الحالية للبحيرة ، وبالتالي يحافظ على مشاريع الري التي تستند الى مياه البحيرة ، كمشروع ري بيسان . الا ان الصهانية يأملون في تحويل جزء هام من مياه اليرموك الى بحيرة طبريا ، فمياه اليرموك تصب حاليا خارج البحيرة عند جسر المجامع ، وعندئذ ، اي عند تحويل اليرموك الى طبريا ، تصبح اعادة جزء من نهر الاردن الى طبريا امرا لا لزوم له ويمكن لذلك تحويل هذا النهر برمته الى النقب ، اذا دعت الحاجة وازدحم المهاجرون اليهود في تلك المنطقة . وهذا يعني بوضوح ان كل ما يقوم به الصهانية من اعمال ، في قناة التحويل من الحولة (القناة التي يجب ان تمر من الاراضي المجردة) ، وما يقومون به من اعمال على بحيرة طبريا ، (محطة الضخ) ضروري جدا لمشاريعهم الهادفة الى اعمار النقب .

هذا هو سر دجل عبد الناصر ودجل بن غوريون . فالضخ من طبريا لا يتعارض مع التحويل من الارض المجردة ، والعكس بالعكس ، انهما عملان من مشروع واحد ولا يمكن الاستغناء عن احدهما بالآخر ، وعلى الاخص لا يمكن الاستغناء عن التحويل بالضخ من طبريا الا بتكاليف باهظة جدا . وان الواقع يبرهن على هذا ، لان الصهانية يقومون بالعملين معا .

ان منطقة النقب لا تقل خصوبتها عن خصوبة وادي النيل عندما تتوفر لها الري الكافي . فهي ارض بكر يكثر فيها الندى وتهطل زخات

المطر سنويا وتوجد فيها المياه الجوفية • وقد دلت التجارب على أن القطن والحبوب ونباتات المناطق الحارة بصورة عامة تعطي نتائج مذهشة في اراضي هذه المنطقة عند توفر الري الكافي • فاذا ما تمكن الصهاينة من اتمام الامكانيات الحالية لري المنطقة المذكورة بجر مياه الاردن اليها ، فان مضاعفة اسرائيل وايصال عدد سكانها الى الخمسة او الستة ملايين يصبح امرا واقعا ، وهذا ما يسعى اليه الاستعمار الامريكي يقول كندي لعبد الناصر في كتابه الذي نشرته الاهرام في يوم الجمعة ٢١ ايلول ١٩٦٢ ما يلي :

« نحن على استعداد للمساعدة في ايجاد حل منصف ومعقول (كنا !) للمشكلة الناجمة عن المشروع الخاص بتنمية موارد نهر الاردن كما اننا على استعداد للمساعدة في احراز تقدم بشأن اية ناحية من نواحي هذه المشكلة المعقدة (كنا !) »

ولم نجد ردا في جواب عبد الناصر المنشور في ذات العدد من الاهرام على هذا التدخل الوقح من صديقه كندي •• الا ان جوابه كان قد صرح به في عام ١٩٥٥ عندما كان يدفعنا الى قبول مشروع جونستون ، وفي خريف عام ١٩٥٩ عندما كان يحاول اقناع الوزراء السوريين بعدم جدوى مقاومة عملية التحويل من الاراضي المجردة •

الجهل والدجل في خدمة اسرائيل والاستعمار الخطأ في مفهوم الهدنة

لا بد من ايضاح امر هام ، وهو أن الهدنة بين العرب واسرائيل لا تشكل اكثر من عمل عسكري بحت لا يلزم العرب بأي اعتراف

باحتلال فلسطين من قبل الصهاينة • وقد نصت على هذا بكل صراحة ووضوح قرارات الامم المتحدة الداعية الى عقد الهدنة ، كما نصت عليه اتفاقيات الهدنة بين الدول العربية ، واسرائيل • وهذا يعني ان الهدنة لا تشكل جدارا بين العرب واسرائيل يحمي هجرة الصهاينة حتى يصلوا الى وضع يسمح لهم بشن حرب ابادة على العرب • فمنع كل عمل يهدد كيان العرب ويهدد بتأييد احتلال فلسطين هو حق صريح لنا ، لانه حق الدفاع عن وجودنا ووجود الشعب الفلسطيني أضف الى هذا ان قرارات الامم المتحدة واتفاقيات الهدنة تقول صراحة : ان اتفاقيات الهدنة لا تمس حقوق الطرفين المتنازعين • وموضوع ذلك النزاع هو فلسطين طبعاً • الا انه من المؤسف ان بعض المسؤولين العرب وفي مقدمتهم عبد الناصر ، اعتادوا دوماً تثبيت انظارهم على خطوط الهدنة فقط في كل مرة يأتي فيها ذكر فلسطين ، وكأن ما يجري داخل البلد المحتل لا يهمنا أبداً ما دام بعيداً عن تلك الخطوط • ألم يقل عبد الناصر مثلاً للموزاء السوريين في الاجتماع اباد ، اجتماع ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٩ ان الصهاينة سيضخون المياه من ارضهم بعيداً عن خطوط الهدنة ؟ ألم يصرح بهذا مرة اخرى باجتماعه الشهير بأهل غزة في صيف هذا العام ؟ وأي أرض لهم ما دمنا لم ولن نعترف باحتلالهم لفلسطين •

لقد اجتمع لعبد الناصر من القوة والظروف ما لم يجتمع لاحد غيره أبداً ، ومع ذلك فانه لم يفعل شيئاً ليمنع الصهاينة من اتمام مشروعهم الخطير بمضاعفة سكان اسرائيل • بل انه استعمل تلك القوة وانتهز

تلك الظروف ليسمسر على قضايا العرب في سوق النخاسة الاستعماري ،
ولبيع فلسطين لامريكا والصهيونية •

قلنا فيما سبق ان بإمكاننا ان نقطع المياه عن الصهاينة ، الا ان هذا
لا يعني وجوب امتناعنا عن فعل كل ما بوسعنا لمنع مشاريع الري
الاسرائيلية • بل علينا ان نضع من الآن كل ما يلزم لاسترداد حقوقنا
في الوطن السليب وان نصر على السير في هذا الطريق حتى ولو ادى
الامر الى استعمال القوة • الا ان هذا يتطلب اولا وقبل كل شيء ادراك
أمر على غاية كبيرة من الاهمية ، وهو : ان نضالنا لاسترجاع فلسطين
هو قبل كل شيء نضال ضد الاستعمار الحديث بزعامة امريكا ، الاستعمار
الذي يحمي اسرائيل • وكمن من مصالح لهذا الاستعمار في بلادنا يجب
تقويضها على رأسه ليفهم بأن هذه القاعدة لاتفيده شيئا ، ما دامت وجدت
لحراسة مصالحه وقد ولت الى غير رجعة هذه المصالح •

العملاء في خدمة اسرائيل

ان ما يهدف اليه الصهاينة هو خطير للغاية ، فما تم من مشروع
الاردن حتى الآن ، على ضخامته ، لا يشكل الا مرحلة ابتدائية من
مشروع ري هائل يوفر للصهاينة زيادة سنوية في موارد المياه تبلغ ١٠٠
-- ١٥٠ مليون متر مكعب • فبحيرة طبريا خزان هائل لكميات ضخمة من
الامطار والثلوج التي تسقط على مرتفعات المنطقة ، على جبل الشيخ وعلى
الجولان وهوران وعلى الجليل وجبال عامل • وان الارقام التي مرت
معنا ليست في الواقع الا تقديرات ابتدائية لهذه الثروة المائية الضخمة ،
وانها لا تتضمن ما تحمله السيول من مياه غزيرة ولا تتضمن تقديرات

المياه الجوفية • ثم ان هنالك مياه اليرموك التي يأمل الصهاينة دوما بجلبها لتصب في بحيرة طبريا بدلا من انصبابها في جسر المجامع ، كما ان هنالك نهر الليطاني في لبنان ، النهر الذي يصب في البحر المتوسط جنوبي سيدا ، والذي يتلمظ الصهاينة لمياهه ويأملون دوما في الوصول اليها بطريقة من الطرق •

ان الاستعمار يقاوم بكل ما يستطيع كل مشروع عربي يعرقل اعمال الري الاسرائيلية فقد رأينا كيف ان وكالة الغوث عرقلت مشروع اليرموك في عام ١٩٥٣ • وعرف كل الناس ما انتهت اليه مشاريع نهر الليطاني في لبنان ، فانهارت وخسفت بها الارض - لكثرة ما ارتكب القائمون على هذا المشروع من رشوات من قبل الشركات الاجنبية الاستعمارية التي يهملها فشلها - •

وعندما قامت الضجة حول قضية تحويل نهر الاردن ، وتسربت الاخبار عن ذلك الاجتماع الوزاري الذي حاول فيه عبد الناصر ان يجبر الدولة الى التسليم بالتحويل ، قام هذا الاخير باخراج تمثيلية غايتها طمس الموضوع • ففي شهر آب من عام ١٩٦٠ اعلنت السلطات الناصرية في سورية عن مناقصة لتحويل نهر بانياس • وكان قد وضع في الميزانية مبلغ مليوني ليرة سورية لهذا الغرض فقدم المهندس السيد مروان جندي الى هذه المناقصة بعرض قبل في بادئ الامر • وقد قام المهندس الجندي بعد ذلك بالدراسات اللازمة • الا أنه في النتيجة فوجيء باعادة النظر بالعرض الذي تقدم به دون مبرر قانوني - واين القانون في تلك الايام - ثم استمرت القضية بين أخذ ورد حتى نهاية العام ثم طويت وسحب المبلغ المخصص

لهذا المشروع من الموازنة • والواقع ان اعلان السلطات في شهر آب عن طلب عروض لتحويل بانياس ما هو الا جزء من تمثيلية تقع فصولها الاخرى في مجلس الامة المزعوم في القاهرة • فقد دفعت الناصرية النواب المباحثيين الى طرح سؤال استفسار عن موضوع تحويل الاردن في جلسة المجلس المذكور المنعقدة في ٣١ تشرين الاول عام ١٩٦٠ اي في الوقت الذي كان فيه الاستاذ مروان الجندي يجهد في دراساته اللازمة لتحويل بانياس •• وقطعه عن الصهاينة •• وبعد أخذ ورد اجاب عبد الحكيم عامر مطمئنا - النواب - ان الدراسات تجري لقطع المياه عن الصهاينة • - اي لقطع ١٥٧ مليون متر مكعب من اصل مليارات الامتار المكعبة المتدفقة على اسرائيل من اراضيها • وبعد انتهاء هذا الفصل يتبرع النواب - بالاطمئنان - المطلوب ، انتهى لزوم عمل الاستاذ الجندي ، الذي خسر من وقته وماله وعرقه في هذا النصب المباحثي • فوضعت العراقيل في وجهه اولاً ثم طوي المشروع وسحبت امواله من الموازنة - لتحول بدون شك الى ابواب - اشد نفعا - لقطع الاطمئنان والحرية عن المواطنين بدلا من قطع الماء عن الصهاينة ، خدم الاستعمار الامريكى الذي يحبه عبد الناصر • ان هذه القصة لا تدل فقط على تهريج عبد الناصر وجوقته ، بل ان لها دلالة اخطر ، وهي ان الناصرية كأشده انواع الرجعية العربية سوادا تقدم خدمات للاستعمار بضمان سيلان المياه العربية الى الصهاينة تحت ستار هذا التهريج والدجل • وهي بذات الستار تستر عن انظار الشعب اعمال الصهاينة في اتمام مشاريعهم الخطيرة في الارض المحتلة ، كمشروع تحويل تلك المياه الى النقب لخلق الظروف المواتية لمضاعفة جهود اسرائيل وتهديد وجود العرب ابدا •